# الهيثم بن عدي

## اختيار موقع الكوفة

حدثني الهيثم بن عدي الطائي قال: أقام المسلمون بالمدائن واختطوها وبنوا المساجد فيها، ثم إن المسلمين استوخموها واستوبؤوها فكتب بذلك سعد بن أبي وقاص إلى عمر فكتب إليه عمر أن تنزلهم منزلاً غربياً، فارتاد كويفة ابن عمر فنظروا فإذا الماء محيط بها فخرجوا حتى أتوا موضع الكوفة اليوم فانتهوا إلى الظهر وكان يدعى خد العذراء ينبت الخزامى والأقحوان والشيح والقيصوم والشقائق فاختطوها.

(البلاذري، فتوح البلدان ص ٢٧٧)

وحدثني حفص بن عمر عن الهيثم بن عدي، [عن ابن عياش الهمداني وأبي خباب قالا:] قال قبيصة بن ذؤيب الخزاعي: كنت عند عبدالملك بن مروان أنا وحسان بن بحدل الكلبي وولده وإخوته وأبو الزعيزعة مولاه فجاء الآذن فاستأذن لعمرو بن سعيد فأذن له وجعل يقول:

احذر عدوك أن يكون صديقاً ... وإذا هممت بقتله فتمكن

أدنيته مني ليسكن روعه ... فأصول صولة حازم مستمكن

غضباً ومحمية لديني [إنه] ... ليس المسيء سبيله كالمحسن

ثم التفت إلي وإلى حسان فقال: إن شئتما فقوما، فلما نهضنا وقد أقبل عمرو قال عبدالملك، وهو يتضاحك: يا حسان أنت أطول من قبيصة ثم

خرجنا. فقال حسان: هو والله قاتله، إن عبدالملك ليس في منطقة فضل وإنما مازحنا ليؤنسه ثم يثب به. قال: وسلم عمرو ثم جلس مع عبدالملك على سريره فحادثه ساعة، ثم أقبل أبو الزعيزعة فأخذ السيف عن عاتقه فقال: يا أمير المؤمنين أيؤخذ سيفي؟ فضحك عبدالملك ثم قال: أو تطمع لا أبا لغيرك أن تقعد معي بسيف بعد الذي كان منك؟ فأطرق عمرو ثم قال له عبدالملك: يا أبا أمية إني كنت أعطيت الله عهداً إن ملأت عيني منك مستمكناً أن أجمع يديك إلى عنقك ثم أثقلك حديداً، فقال عبدالعزيز بن مروان: ثم تصنع ماذا يا أمير المؤمنين؟ قال: أطلقه وما عسيت أن أصنع بأبي أمية، قم يا أبا الزعيزعة فأت بجامعة وقيد فأتى بهما وكانا قد أعدا له فصيرهما في عنقه ورجليه فقال عمرو: نشدتك الله يا أمير المؤمنين أن تخرجني فيهما على رؤوس الناس، فقال: أو مكراً يا أبا أمية! لعمري ما أخرجك فيهما ولا أخرجهما منك إلا صعداً. ثم جذبه أبو الزعيزعة جذبة سقط منها على وجهه فأصابت قائمة السرير ثنيته فانكسرت. فقال: يا عبدالملك نشدتك الله إن العرب والعجم يبقون هملاً ويصلح أمر قريش فقط لفديتك بدم النواظر، ولكنه والله ما اجتمع فحلان في هجمة قط إلا قتل أحدهما صاحبه، قم يا عبدالعزيز فاضرب عنقه. وخرج عبدالملك لصلاة العصر فإذا يحيى بن سعيد قد وافى في ألف من مواليه من أهل حمص، فلما أحس به عبدالملك أمسك أنفه بيده كالرعيف وقدم ابن أم الحكم الثقفي وكان خلفه فصلى ابن أم الحكم بالناس، ودخل عبدالملك القصر فقال لعبد العزيز: ما صنعت؟ قال: يا أمير المؤمنين ناشدني الله والرحم فكرهت قتله، فقال: . . . أدْنه يا غلام فأضجعه ثم ذبحه بيده بالسيف وهو يقول:

يا عمرو إلا تدع شتمي ومنقصتي　　أضربك حيث تقول الهامة اسقوني

قال: وانقضت الصلاة وخرج يحيى بن سعيد إلى الباب في مواليه وأصحابه فكثر ضجيجهم وجعلوا يقولون: أسمعنا صوتك يا أبا أمية فخرج إليهم الوليد ابن عبدالملك في موالي عبدالملك وغيرهم فناوشوهم فأصابته ضربة على إليته وذلك الصحيح، ويقال على رأسه، فأخذه ابن أرقم فأدخله بيتاً وأجاف عليه الباب. ودخل عبدالرحمن بن أم الحكم من باب المسجد فقال لعبد الملك: أيها الرجل ما صنعت فقد حل الخطب، قال: قتلته، قال: أصاب الله بك الخير والرشد. فأخذ ابن أم الحكم الرأس فرمى به إلى أصحاب الأشدق فانكسروا حين يئسوا منه، وأمر عبدالملك ببيت المال ففتح ونادى في الناس أن احضروا أعطياتكم فأقبل الناس وتركوا ما كانوا فيه. ووضع لعبد الملك سرير فخرج فجلس عليه وهو يقول أين الوليد والله لئن كانوا أصابوه لقد أدركوا ثأرهم فأخبر بمكانه وأنه لم يُصب فأمسك. وأمر عبدالملك فنودي من أتى بيحيى بن سعيد أو بأحد من ولد سعيد فله ألف دينار، فأخذوا جميعاً من ساعاتهم فأمر بإشخاصهم إلى الكوفة، فصار يحيى مع مصعب بن الزبير.

(البلاذري - أنساب الأشراف ج ٤ ص ١٤١-١٤٤)

### عبدالملك وابن الأشتر

وقال الهيثم بن عدي: كتب عبدالملك إلى إبراهيم بن الأشتر وهو مع مصعب كتاباً فأتى به المصعب قبل أن يقرأه فلما قرأه قال له: يا أبا النعمان أتدري ما فيه؟ قال: لا، قال: يعرض عليك ما سقت دجلة أو ما سقى الفرات فإن أبيت جمعهما لك وإن هذا لما يرغب فيه، فقال إبراهيم: ما كنت لاتقلد الغدر والخيانة، وما عبدالملك من أحد بأيأس منه مني وما ترك أحداً ممن معك

إلا وقد كتب إليه فابعث إليهم واضرب أعناقهم وإلا فأوقرهم حديداً ثم ألقهم في أبيض كسرى ووكل بهم حفظة فإن ظفرت عفوت عنهم أو عاقبت، فقال: يا أبا النعمان إني أخاف في هذه القالة ووالله لو لم أجد إلا النمل لقاتلت به أهل الشام.

قال: فلما اصطف الناس مال عتاب بن ورقاء فذهب وكان على خيل أهل الكوفة وجعل إبراهيم يقول لرجل رجل تقدم فيلتوي عليه فيتقدم هو فيقاتل فلم يزل يفعل ذلك حتى قتل. ثم تقدم مصعب فخذله الناس، فقال لحجار بن أبجر: تقدم يا أبا أسيد [قال]: إلى هؤلاء الأنتان؟ قال: ما تتأخر إليه أنتن. ثم قال للغضبان بن القبعثري: تقدم يا أبا السمط، فقال: ما أرى ذاك، فالتفت إلى قطن بن عبدالله الحارثي وهو على مذحج وأسد فقال: تقدم، فقال: أسفك دماء مذحج في غير شيء، فقال: أف لكم. ثم أقبل في عدة فلما برز قال زياد ابن عمر العتكي لعبدالملك: يا أمير المؤمنين إن أبا البختري إسماعيل بن طلحة ابن عبيد الله كان لي صديقاً وقد خفت أن يقتل فآمنه، قال: هو آمن. ودنا محمد بن مروان فأعطى مصعباً الأمان فأباه ورُمي مصعب من كل جانب فأثخن، وقاتل ابنه عيسى حتى قتل، وقتل ابن ظبيان مصعباً ويقال ضربه غلام له على جبينه واعتوره الناس فقتل ووقف ابن ظبيان فاحتز رأسه وأتى به عبدالملك.

(البلاذري - أنساب الأشراف ج٥ ص٣٤١)

**خالد القسري**

قال الهيثم بن عدي : [أخبرني الحسن بن عمارة عن العريان بن الهيثم قال : ] كنت كثيراً ما أقول لأصحابي إني أحسب هذا الرجل قد تخلى منه أن قريشاً لا تحتمل هذا ونحوه وهم أهل حسد وهذا يُظهر ، فقلت له يوماً : أيها الأمير إن الناس قد رموك بأبصارهم وهي قريش وليس بينك وبينها إلٌّ وهم يجدون منك بُداً وأنت لا تجد منهم بُداً فأنشدك الله إلاما كتبت إلى هشام تخبره عن أموالك وتعرض عليه منها ما أحب فما أقدرك على أن تتخذ مثلها وهو لا يستفسدك وإن كان حريصاً على ذلك فلعمري لأن يذهب بعض ويبقى بعض خير من أن تذهب كلها وما كان يستحسن فيما بينك وبينه أن يأخذها كلها ولا آمن أن يأتيه باغ أو حاسد فيقبل منه ، فلأن تعطيه طائعاً خير من أن تعطيه كارهاً ، فقال : ما أنت بمتهم ولا يكون ذلك أبداً . قال : فقلت أطعني واجعلني رسولك فوالله لا يحل عقدة إلا شددتها ولا يشد عقدة إلاحللتها ، قال : إنا والله لا نعطي على الذل ، قال قلت : هل كانت لك هذا الضباع إلا في سلطانه وهل تستطيع الامتناع منه إن أخذها؟ قال : لا ، قلت : فبادره فإنه يحفظها لك ويشكرك عليها ولو لم تكن له عندك يد إلا ما ابتدأك به كنت جديراً أن تحفظه ، قال : لا والله لا يكون ذلك أبداً . قال قلت : فما كنت صانعاً إذا عزلك وأخذ ضياعك فاصنعه فإن إخوته وولده وأهل بيته قد سبقوا لك وأكثروا عليه فيك ولك صنائع تعود عليهم بما بدا لك ثم استدرك استتمام ما كان منك إلى صنائعك من هشام ، قال : قد أبصرت ما تقول وليس إلى ذلك سبيل . وكان العريان يقول كأنكم به قد عُزل وأخذ ماله وتُجُنى عليه ثم لا ينتفع بشيء . قال فكان كذلك .

(الطبري ، ج٢، ص ١٦٥٥-١٦٥٧)

### اختيار موقع بغداد

ذكر عن الهيثم بن عدي [عن ابن عياش قال : ] لما أراد أبو جعفر الانتقال من الهاشمية بعث رواداً يرتادون له موضعاً ينزله واسطاً رافقاً بالعامة والجند فنعت له موضعاً قريباً من بارما وذكر له عنده غذاء طيب، فخرج إليه بنفسه حتى ينظر إليه وبات فيه وكرر نظره فيه فرآه موضعاً طيباً، فقال لجماعة من أصحابه منهم سليمان بن مجالد و أبو أيوب الخوزي وعبدالملك بن حميد الكاتب وغيرهم : ما رأيكم في هذا الموضع؟ قالوا : ما رأينا مثله هو طيب صالح موافق، قال : صدقتم هو هكذا ولكنه لا يحمل الجند والناس والجماعات وإنما أريد موضعاً يرتفق الناس به ويوافقهم مع موافقته لي ولا تغلو عليهم فيه الأسعار ولا تشتد فيه المؤونة فإني إن أقمت في موضع لا يجلب إليه من البر والبحر شيء غلت الأسعار وقلت المادة واشتدت المؤونة وشق ذلك على الناس وقد مررت في طريقي على موضع فيه مجتمعة هذه الخصال فأنا نازل فيه وبائت به فإن اجتمع لي ما أريد من طيب الليل والموافقة مع احتماله للجند والناس أبتنيه .

قال الهيثم بن عدي : فخبرت أنه أتى ناحية الجسر فعبر في موضع قصر السلام ثم صلى العصر وكان في صيف وكان في موضع القصر بيعة قس ثم بات ليلته حتى أصبح فبات أطيب مبيت في الأرض وأرفقه وأقام يومه فلم ير إلا ما يحب، فقال : هذا موضع أبني فيه فإنه تأتيه المادة من الفرات ودجلة وجماعة من الأنهار ولا يحمل الجند والعامة إلا مثله . فخطها وقدر بناءها ووضع أول لبنة بيده وقال : بسم الله والحمد لله والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . ثم قال : ابنوا على بركة الله .

(الطبري ج٣، ص ٢٧٣-٢٧٤)

**وفاة المنصور**

وذكر الهيثم بن عدي، عن الربيع، أن المنصور رأى في حجته التي مات فيها وهو بالعذيب أو غيره من منازل طريق مكة رؤيا، وكان الربيع عديله وفزع منها وقال: يا ربيع ما أحسبني إلا ميتاً في وجهي هذا وإنك تؤكد البيعة لأبي عبدالله المهدي، قال: الربيع: فقلت له يبقيك الله يا أمير المؤمنين ويبلغ أبو عبدالله محبتك في حياتك إن شاء الله. قال: وثقل عند ذلك وهو يقول: بادر بي إلى حرم ربي وأمنه هارباً من ذنوبي وإسرافي على نفسي، فلم يزل كذلك حتى بلغ بئر ميمون وقد دخلت الحرم، فقال: الحمد لله. وقضى من يومه.

قال الربيع: فأمرت بالخيم فضربت وبالفساطيط فهيئت وعمدت إلى أمير المؤمنين فألبسته الطويل والدراعة وسندته وألقيت في وجهه كلة رقيقة يرى منها شخصه ولا يفهم أمره وأدنيت أهله من الكلة حيث لا يعلم بخبره ويرى شخصه ثم دخلت فوقفت بالموضع الذي أوهمهم أنه يخاطبني، ثم خرجت فقلت: أمير المؤمنين مفيق بمن الله وهو يقرأ عليكم السلام ويقول إني أحب أن يؤكد الله أمركم ويكبت عدوكم ويُسر وليكم وقد أحببت أن تجددوا بيعة أبي عبدالله المهدي لئلا يطمع فيكم عدو ولا باغ، فقال القوم كلهم: وفق الله أمير المؤمنين نحن إلى ذلك أسرع. قال: فدخل فوقف ورجع إليهم فقال: هلموا للبيعة فبايع القوم كلهم فلم يبق أحد من خاصته والأولياء ورؤساء من حضره إلا بايع المهدي. ثم دخل وخرج باكياً مشقوق الجيب لاطماً رأسه فقال بعض من حضر: ويلي عليك يا بن شاة، يريد الربيع وكانت أمه ماتت وهي ترضعه فأرضعته شاة.

قال: وحفر للمنصور مائة قبر ودفن في غيرها للخوف عليه. قال: وهكذا قبور خلفاء ولد العباس لا يُعرف لأحد منهم قبر. قال: فبلغ المهدي فلما قدم عليه الربيع قال: يا عبد ألم تمنعك جلالة أمير المؤمنين أن فعلت ما فعلت به؟ وقال قوم إنه ضربه، ولم يصح ذلك.

(الطبري ج ٣، ص ٤٥٦-٤٥٧)

obeikandl.com